بفضولهم عذلاً وملاماً

عندها يعلم الخلق كافةً ان العواطف الحيّة الثابتة المؤسسة على المحاسن المعنوية هي مظهر السعادة ونور الحياة ومصدر الاخلاق الراضية والشمائل السامية والمزايا الممدوحة التي عليها مدار التفاضل بين افراد نوع الانسان . وانها هي التي تسود على شيطان المكر والخداع والبغض والمؤالسة والريآء فتسحق هامتهُ سحقاً وتستأصل شأفتهُ من هذه الارض بعد ان استبدّ فيها واستولى عليها ألوفاً من السنين فتصبح جنّةً تجري فيها انهار السعادة صافية الينابيع . وهذا سهل الادراك قريب المنال متى اقترنت الارادة الثابتة بالعزم الصادق

ان الانسان طبع ميالاً الى معرفة ما يجهلهُ وفي الكون جملة نواميس عامة منها تنازع البقاء ودوام الارتقاء فما دامت هذه النواميس ضابطة الكون وذلك الميل غريزيًّا في الانسان لا يرتاب عاقلٌ ان الأُسرة البشرية ستبلغ يوماً ما باخلاقها واحوالها ومعايشها الى هذا الدور السعيد ولو بعد امدٍ بعيد . انتهى

سليم عنحوري

بماذا تعتزّ الشعوب

حديثٌ جرى لي مع احد الخلان الالبآء أقتضب منهُ ما يأتي تفكهةً لقرّآء الضيآء ولعلهُ لا يخلو من تبصرةٍ لمن القى السمع وهو شهيد

زعم الصديق ان المال سلطان كثير الاعوان فالشجاعة من جنودهِ والفصاحة من عبيدهِ والصدق من خواصّهِ وعزة النفس من اعوانهِ وكل

ما يبعث على النخوة والمروءَة من علاماتهِ وبالجملة فهو يزعم ان المال عنوان الصفات الكريمة وانها كلها قد اناخت ببابهِ لم ترَ عنهُ متحوّلاً . وعلى هذا الزعم يرى ان اهل البلاد الغنية مالكون عنان المكرمات والمزايا الشريفة وبعكسهم اهل البلاد الفقيرة جبناء اذلآء كذابون محتالون قد استعبدهم الغنيُّ فاضاع شرف نفوسهم وملك زمام امورهم واشترى ذمتهم بالرخيص وباع اعراضهم بيع الخسيس فجعلهم يكذبون لكسب رضاهُ ويرتكبون المحارم طمعاً في التقرب منهُ

وانت اذا تدبرت هذا الزعم واستقريت احوال الامم في الشرق والغرب تبيّن لك انهُ غير صحيح في الجملة وعلمت انهُ خُدعة من خُدَع الدينار ذي الوجهين بما لهُ من السطوة على العقول وان ما زعموهُ من سلطان المال وان صدق في كثيرٍ من الاحوال فلا يصح ان يتخذ قاعدةً عامّة للغنى وشرعاً مقرراً يُحكم بموجبهِ على اخلاق الاغنياء بالسواء . ألا ترى ان الشجاعة قلما ترافق الغنى والفصاحة توشك ان تكون من الصفات التي لا تألف اهل الثروة وكم من غنيٍّ كذوب يكاد لذكر النخوة والمروءَة يذوب . وهل افقر ممن اتخذ السماء خيمةً وبسيط الارض فراشاً وكان فرسهُ كلَّ غناهُ ورمحهُ اثمن مقتناهُ والقميص جملة لباسهِ . اما هو البدويّ الذي يقول النار ولا العار والمنيّة ولا الدنيّة والحرّة تجوع ولا تأكل بثديها أوَليس هو القائل

إن تسألوا الحقَّ نعطِ الحقَّ سائلَهُ ... والدرع مُحقَبَةٌ والسيف مقروبُ

وان ابيتم فانَّا معشرٌ أُنُفٌ ... لا نطعَمُ الخسف ان السُمّ مشروبُ

والقائل

فلا تقبلَنْ ضيماً مخـافة ميتةٍ ومُوتَنْ بها حرًّا وجلدك املسُ
وما الناس الا ما رأوا وتحدّثوا وما العجز الا ان يضاموا فيجلسوا

والقائل

نعرّض للسيوف اذا التقينا نفوساً لا تعرّضُ للسبابِ

الى اقوالٍ تضيق عنها ضخام الاسفار وكلها تنطق بافصح لسان عن أَنَفة فقرآء العرب وإِبآئهم الضيم وشجاعتهم وكرم اخلاقهم . واذا استطلعت تأريخ فقرآء الفرنجة لعهد بداوتهم علمت انهم كانوا كالعرب في الأَنَفة وعزّة النفس والشجاعة واذا استقريت شأنهم لعهدنا هذا وجدتهم على ما كان عليهِ آبآؤهم من النخوة والمروءَة وإِبآء الذل وفقرآؤهم واغنيآؤهم في هذه الصفات شَرَع ولا مجد عندهم فوق مجد العلم . فلو قلت لاحد فلاحيهم ان رئيس الجمهورية مارٌّ من هنا فقف هنيهةً لنراهُ لاجابك فوراً وماذا يهمُّنا منهُ ولو قلت لأفقر صانع عندهم انظر الى يمينك ترَ المستر مُرغان اعظم غنيٍّ في الارض لما التفت اليهِ . ولكن لو قلت لاحدهم هذا المستر آديسُن المخترع المشهور او مركوني او الكاتب آدمُون رُستان او الشاعر سُولّي پرُودُوم لنهض على قدميهِ ووقف ينظر اليهِ باحترام واعجاب بل قد لا يتمالك عن رفع قبعتهِ لتحيتهِ بل قد يصيح بعضهم عاش مركُوني او عاش رُستان على عادتهم ترحيباً بهِ وتعظيماً لقدرهِ . حكى لي بعضهم قال كنت يوماً في مجلس احد كبار الاميريكان واعاظم اغنيآئهم المستر مكملّين وكان في العام الماضي نازلاً في فندق شَبَرْد في مصر فدخل عليهِ وكيل حكومة

اميريكا في هذا القطر فسلم وقعد ثم دخل عليهِ احد اشراف اغنيآء البلجيك ففعل مثل الاول ثم دخل احد كبار الموظفين من رجال الحكومة المصرية للسلام عليهِ من قِبَل الحضرة الخديوية فكان حظهُ حظ الاولين ومكملين قاعدٌ لم يتحرك لاحد . وبعد هنيهةٍ دخل علينا رجل ليس عليهِ شيءٌ من سمات الثروة واهل التنعم فما كاد يقع نظر السيد مكملين عليهِ حتى نهض وانتفض « كما انتفض العصفور بللهُ القَطر » واسرع اليهِ فصافحهُ باشًّا واخذهُ من يدهِ فاجلسهُ بجانبهِ يؤانسهُ ويتلطف بهِ كأن لاسواهُ في المجلس. فاخذني العجب مما رأيت وسألت سيدة شريفة كانت بالقرب مني مَن هذا القادم الكريم فقالت هو احد علمآء اميريكا . فتحقق لديّ ان القوم لم يبلغوا هذا المقام الرفيع بين امم الارض الاّ لتقديرهم قدر العلم ورجالهِ ومعرفتهم انهُ مفتاح الصنائع والاختراعات وان هذا هو المغناطيس الحقيقي لجذب مال الارض والتنعم بهِ من جميع الوجوه المرضية

وانت اذا انعمت النظر في اخلاق الامم الشرقية لهذا العهد وجدت الجبن والذل متمكنين في الاغنيآء والفقرآء بالسوآء وشذّت عن ذلك الامة التركية وعرب البادية والامة اليابانية وذلك لا لثروتها فانت تعلم ان عرب البادية افقر الناس واليابان اقل الامم ثروةً بل لان عزة الملك وحب الوطن يولّدان الشجاعة والأَنَفة في نفس الانسان و بعكس ذلك الظلم والاستبداد يميتهما بل يميت كل صفةٍ كريمة . وانظر الى حال الامة الصينية وما هي عليهِ من الشقآء والذل حتى ان جيوشهم الجرّارة التي اذا عُدّت جيوش الارض حسبوها كجيوش النمل لا تعرف من طرق الحرب

سوى الهرب وهي فوق ذلك بل لعلّ هذا هو السبب الاول لم تزل تتسكّع من الجهل في ظلمات بعضها فوق بعض فلم تغنِ عنها كثرة عددها ولا معادنها ولا ثروة ارضها شيئاً

وهذه الامة اليهودية قد كانت من اعظم الامم بطشاً وحروباً واشهرها شجاعةً وحسبك ان المرأة كانت تخاطر بنفسها لتفتدي وطنها من الاسر او تغلب المتغلبين كما فعلت يهوديت وياعيل وغيرهما ولما ذهب الملك من اليهود واضمحلت قواعدهُ صار بعض رجالهم يبيع وطنهُ واهل مملكتهِ بيع الخسائس كما فعلوا في المغرب لعهد الاندلسيين وفي المشرق لعهد الصليبيين وما ذلك الا لاعتقادهم ان لا وطن لهم ولا ملك بل لِما رسخ في نفوسهم من فقدان عصبية المُلك ولطول استعباد الامم لهم حتى تأصلت الحيلة فيهم دفاعاً عن نفوسهم وحرصاً على الحياة فكانت ثمرتها احتكارهم نصف مال الارض على رأي بعضهم . ومع ذلك فلم تدفع هذه الثروة الطائلة عنهم سهام العائبين لهم بصفات قد يكون كثيرٌ منهم بريئاً منها

ومما تقدم تعلم ان الشجاعة وكثيراً من مكارم الاخلاق لا توجد الا في الامم المالكة الصحيحة الآداب القويمة الاحكام من التي بذل اهلها النفس والنفيس في سبيل الحرية والحصول على العزّة الشمآء كالامة الاميريكية والامة اليابانية وحسبك ما كان من هذه الاخيرة في العام الماضي من آيات الشجاعة وما قُرنت بهِ من النصر المتتابع والأَنَفَة من ذلّ الاسر حتى كانوا يفضلون عليهِ الموت انتحارا وحتى محوا بهِ عار ذلٍّ لبسناهُ نحن

الشرقيين احقاباً متوالية فما قعد الفقر باليابان عن ادراك المعالي ولا كان غنى الروس وضخامة ملكهم وكثرة عددهم وكبر جثثهم دافعاً بلآء الاندحار وعار الانكسار الناشئ عن سوء التدبير واذا امعنت في البحث عن السببين وجدتهما نتيجة امرين هما انصباب اليابان على طلب العلم وتقاعد الروس عنهُ

قسطاكي الحمصي

عبادة الشمس

ذكرنا في بعض اجزآء السنة السادسة ان علمآء الهيئة من الفرنسيس احتفلوا احتفالاً كبيراً بعيد الشمس احتشدوا لهُ في برج آيفيل الشهير في الحادي والعشرين من شهر يونيو وهو اوان المنقلب الصيفي وقد صار ذلك لهم سُنّةً مطّردة في مثل هذا التاريخ من كل سنة . والظاهر ان الالمان ابوا الا ان يعارضوهم في ذلك الا انهم لم يقفوا عند الحدّ الذي وقف عندهُ الفرنسيس فقد جآء في احدى المجلات العلمية الفرنسوية ان نفراً منهم قد سنّوا عبادةً حقيقية للشمس وضعوا قواعدها سنة ١٩٠٢ وهم جماعةٌ من طارئةٍ المانية في استراليا نازلة في بريطانيا الجديدة من القارّة المذكورة . ورئيس هذه الطائفة رجلٌ منهم يقال لهُ اوغسط أَنجلهَرْد وهى تتناول الرجال دون النسآء وعددها بين خمسة عشر وعشرين رجلا . وقد اختاروا ثلاثةً منهم سموّهم باخوة الشمس هم الموكلون باقامة الاحتفالات الدينية حين يقيمها رئيسهم المذكور وهو الكاهن الاعظم ولا يحضر هذه الاحتفالات سواهم